فوز «حماس».. مالئ

زرعت فحصدت ياحماس

محمد رجب ابو رجب *

يوجد مثل شائع من منا لايعرفه ويردده في كثير من المناسبات (من يزرع يحصد) وها نحن اليوم امام ماتحصده حركة المقاومة الاسلامية حماس، واول ماحصدته ثقة الشعب الفلسطيني الكبيرة بقيادتها ومناضليها بخطها السياسي وهو الانتصار الاكبر من وجهة نظري..

لقد سمعت وبعد فوز حماس بعض التصريحات والتي صدرت وللأسف لمسئولين فلسطينيين البعض يقول صدمت من النتائج والآخر فوجئت . الخ ...

وانا اقول ان اصحاب هذه التصريحات كانوا بعيدين عن شعبهم وبعيدين عن معرفة الواقع الفلسطيني ، وحاولوا ان يتناسوا ان الشعب الفلسطيني مازال تحت الاحتلال يعاني من الظلم والقهر والعدوان الكثير الكثير، مما ادخل المواطن في ضائقة في كل شيء واولها لقمة العيش وهو ينتظر السلام المزعوم.

الفلسطيني نعم يبحث عن السلام ولكن عن السلام العادل ،السلام الذي يعيده من التشرد الى دياره وبيته واسرته ،السلام الذي يصون كرامته وعزته ،السلام الذي يحفظ امنه واستقراره السلام الذي يوفر له فرص العمل والحياة ، وفجاة وجد نفسه يركض وراء سراب.

لقد ادركت حركة المقاومة الاسلامية حماس كل هذا ومعها الفصائل الوطنية والمناضلين الشرفاء فانخرطت في صفوف الشعب ،زرعت فيهم الثقة بالنفس،زرعت فيهم الطموحات والامال ،زرعت فيهم روح التضحية والجهاد وكانت في مقدمة الانتفاضة التي تفجرت في وجه الاحتلال واوجدت معادلة جديدة في مقاتلة العدو.

طالما سمعنا وعلى مدار مايزيد عن نصف قرن من بعض الانظمة اننا بحاجة الى توازن قوي لمحاربة اسرائيل ولايمكن الانتصار عليها بدون تحقيق ذلك ونحن نعرف ما تملكة اسرائيل ومايملكه العرب ومثل هذا الطرح معناه ان نستسلم لإسرائيل لاننا لن نصل امام ماتملكه من ترسانة من السلاح وفي المقدمة النووي المحرم علينا نحن العرب والمباح لإسرائيل.

جاءت العمليات الاستشهادية التي فجرتها حماس لتلغي هذا المفهوم ولتؤكد انه بالامكان الانتصار على هذا العدو في زمن الانتفاضة حتى اليوم خسر مالم يخسرة في تاريخ صراعة العربي الصهيوني واربكت صفوفة وقياداته وجيشة وامنه ونالت من استقراره وامكانياته وكانت الفصائل الوطنية ملتفة حول حماس وشاركتها مثل هذه العمليات وانخرطت جميعها في محاربة الاحتلال حتى اجبرته على الاندحار من غزة ،هذه هي الحقيقة.

جني الفلسطينيون اولى ثمار الانتفاضة باجبار شارون على الانسحاب من غزة بعد ان قدموا الآف من الشهداء من ابناء الشعب الفلسطيني وفصائلة الاسلامية والوطنية ،وكان منهم وفي مقدمتهم الشيخ ياسين المؤسس لهذه الحركة والدكتور الرنتيسي ويحيى عياش وهم من زرع لكي نحصد نحن اليوم هذه الانتصارات ،وهذا لاينسينا كل الشهداء والمناضلين من حركة فتح والشعبية والديمقراطية وغيرها،لاينسينا أبو جهاد وأبوالهول وأبو اياد وأبو عمار وغسان كنفاني وأبو علي مصطفى وجيفارا غزة،ولاينسينا الاحياء المناضلين الشرفاء في هذه الثورة الفلسطينية العملاقة والذين قادوا الثورة منذ انطلاقتها ،ولاينسينا القادة في السجون والآف المعتقلين،الصورة المشرقة للشعب الفلسطيني التي قدمتها فصائلة في الانتخابات التشريعية والشفافية العالية التي رافقت الانتخابات تؤكد لنا وفاء هذه الفصائل لهؤلاء الشهداء والمناضلين ،ومطلوب اليوم ان تستكمل باعادة انتخاب اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ،ان تستكمل في تشكيل حكومة وطنية تشارك فيها كل الفصائل الوطنية،ان تستكمل باعادة ترتيب البيت الفلسطيني (منظة التحرير الفلسطينية) ،ان تستكمل بمحاربة كل انواع الفساد التي سادت الساحة الفلسطينية ،ان تستكمل بتوفير الامن والاستقرار للمواطن ،ان تستكمل بمواصلة النضال حتى تحقيق الاهداف الوطنية،حق العودة اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

حكومتنا الوطنية وجبهتنا الوطنية وقيادتنا الوطنية هي التي ستجبر بوش ومن لف حوله للاعتراف بنا، لايهم كثيراً مانسمعه اليوم على لسانهم ووصفهم لنا بالارهاب فهذا ليس جديد،ويجب ان لايخيفنا مايرددونه وفي كل يوم ، لقد تعودنا عليهم ونعرفهم جيداً،فلاتقهرهم الا القوة ،فعلينا ان نكون اقوياء،ولن نكون كذلك الا بوحدتنا الفلسطينية الصلبة الحقيقية وكفانا مضيعة للوقت..

* رجل أعمال فلسطيني مقيم في عدن

الحقبة الإسلامية

سعد صلاح خالص *

أختلف مع من أعتبر فوز حماس بالانتخابات الفلسطينية مفاجئا، كما اختلفت مع من اعتبر فوز كل من الائتلاف العراقي الموحد (الإسلامي الشيعي) والتوافق الوطني (الإسلامي السني) بالعراق على الآخرين جميعا (باستثناء الحالة الكردية الاستثنائية) كذلك. وبعد العراق وفلسطين والاكتساح الإخواني بمصر، والواقع السياسي في الأردن وما هو سائد في جنوب لبنان، وما يبدو قريبا في سوريا، وما يغلي في الصدور في ليبيا والجزائر وتونس والمغرب واليمن وحتى في الخليج، يبدو أن عصرا جديدا- قديما في العالم العربي قد بانت ملامحه .. عصر تأخر بضعة عقود لأسباب لوت عنق الواقع لصالح أوضاع استثنائية ومد قومي ? عسكري- يساري أفرزته صراعات الحرب الباردة والتحرر من الاستعمار.. عصر أنتج أنظمة قفزت فوق الواقع الشعبي محاولة التحديث والتغيير الفوقي غالبا باتجاه شكل فج من الاشتراكية في مجتمعات غير مؤهلة تعيش واقعيا عصر ما قبل الرأسمالية، فسقطت في فخ العشوائية والاستبداد والقمع والفساد، وفقدت بالتالي الحاضر والمستقبل بعد أن تهرأت الشعارات وفقدت بريقها ورصيدها الشعبي مع ظهور أجيال جديدة تطالب بالثمار بعد طول انتظار..

وقد يكون من المنطقي أن يستحوذ الإسلام السياسي على الساحة بعد عهد الاستعمار، وقد كانت القاعدة الشعبية آنذاك، في ضوء الثقافة السائدة ومستوى التعليم والعزلة عن العالم الخارجي، باستثناء بعض النخب ذات الصوت العالي، مستعدة تماما لقبوله، وكان سيأخذ فرصته الكاملة في الحكم وسيمارس ما نعرفه جميعا، ثم يتداعى كنظام يرفض التحديث والاندماج في العالم المتغير باستمرار، ثم يسقط أوقد يستمر بشكل أكثر حداثة وتطورا إذا تمكن من استيعاب حركة العصر التي لا ترحم، هذا إذا تمكن من إفراز نخب تدرك هذه الحركة وتمتلك الجرأة على تغيير الكثير من الثوابت الإيديولوجية السياسية المرتبطة بالدين (وليس الدين ذاته فلا حاجة لذلك). فالمعضلة في الإسلام السياسي وجمهوره هو الاختلاط غير الحميد بين الدين كعقيدة فكرية ذاتية أو جماعية، والسياسة بكل انتهازيتها وقذارتها، والتراث بكل ما شابه من خرافة وأقاصيص رمزية كانت أم واقعية، والتاريخ بكل تذبذبه بين الصعود والهبوط، وبالطبع سيادة الشمولية بسبب أحادية الرؤية ورفض الآخر.

وقد جرى تثقيف أجيال من المؤمنين على إن هذه الخلطة هي الدين ذاته، حتى تمكنت من إزاحة جوهر العقيدة والجلوس محلها، باستخدام الخوف والرهبة والاحترام الطبيعي الذي يكنه المؤمن لرجل الدين (وهي الأخرى وظيفة مستحدثة أفرزتها الحاجة الاجتماعية-السياسية)، فسلم له الزمام وترك له عقله وقلبه يفعل بهما ما يشاء رغم أن عصر الإسلام الأول حيث كانت القراءة والكتابة والتعلم حكرا على فئة محدودة من المجتمع قد ولى، وأصبحت المجتمعات قادرة على ان تقرأ وتتدبر النصوص وتميز الحق عن الباطل بدون وسائط في ضوء تقدم الفكر البشري وتطوره المستمر. إلا أن السياسيين أبوا الا أن يبقى هذا الوسيط بعد أن شكل فئة وسطية هامة ما بين الحكومة والشعب عبر مئات السنين في وظيفته أداة لتوظيف الوعي الشعبي وإدارته وفق المصلحة المشتركة بين الحاكم وهؤلاء. ولم تتخل أنظمة عهد ما بعد الاستعمار عن هذه الأداة، بعد أن أدركت إن مجتمعات عصر ما قبل الصناعة لا تزال تحت سطوة العقيدة الدينية فاستخدمتها في خلق فلسفات ركيكة غير واقعية أوصلت فيما أوصلت الأوطان إلى حالة من التدهور المستمر اقتصاديا واجتماعيا. وبالطبع، فإن هذا التدهور قد خلق بالمقابل تيارا معارضا تحت الأرض، استخدم نفس الأرضية الإيمانية والتعاطف الشعبي، ولعب على أوتار السياسات المتقلبة للأنظمة فكان حليفا لها تارة، وعدوا تارة أخرى، حتى تمرس بالعمل السياسي والتنظيمي والعسكري وبات بلا نقاش القوة الأكثر تأثيرا في الشارع العربي منذ عقود.

وإذ ارتخت السلطات في أوهام البقاء إلى الأبد (جئنا لنبقى على طريقة البعث)، أو الاتكاء على ماض من النضال مثل السلطة الفلسطينية التي افتقدتها روايات الفساد المالي والإداري وبحار السياسة العميقة كل رومانسيتها الثورية السابقة بعد أن رحل الفرسان الأوائل واحدا بعد الآخر، حالها حال الجزائر التي جاء منها النذير الأول في أوائل التسعينيات، فإن حركات الإسلام السياسي التي أقتاتت على الأخطاء المتراكمة للسلطة وفسادها وقمعها واستبدادها وجدت البديل الجاهز في العودة الى الماضي المجيد لأن كل النظريات البشرية قد أثبتت فشلها (!) وإن تلك العهود إنما كانت اختبارا من قبل الإله الذي سخر الآخرين لوصول هذه الجماعات الى الحكم لتقيم المجتمع الإسلامي، بما في ذلك الديمقراطية (التي تعني في مفهوم الإسلاميين الانتخابات وحسب) إلى آخر تلك الأجوبة الجاهزة المعدة بعناية لتلبي أسئلة الجمع المؤمن البسيط الذي ضاق ذرعا بالوعود والأحلام الكبيرة التي رسمتها الأنظمة عبر العقود والقت به بالنتيجة لقمة جاهزة الى أحضان حركات الإسلام السياسي.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل تستطيع حركات الإسلام السياسي هذه في تعويض الأحلام السابقة المجهضة بأحلام جديدة قابلة للتطبيق، وهل من أولوياتها ? بعد مكافحة الفساد الذي كان سلاحها الأمضى انتخابيا ? (هذا ان كانت ستكافحه فعلا) ان ترتقي بالمجتمع الى حالات من الرفاهية والتطور؟ بل أن السؤال هو هل أن الرفاهية والتطور والحرية ضمن أولوياتها أو حتى اهدافها.. أم انها ستبني مجتمعات الخلافة والسباحة وركوب الخيل والعسكرة على طريق الجهاد الدائم والفتح والمعارك مع القردة والخنازير كما تطربنا المساجد من المحيط الى الخليج يوميا أملا في الهدف النهائي للإنسان وهو نيل الجنة كما تشير الأدبيات السياسية لكل من الفئتين الإسلاميتين الأكبر؟ وهل ستكرس البحث العلمي والاجتماعي والإنساني، أم ستغرق المجتمعات في الغيبيات والخرافات كما بادرت حركة العدالة والإحسان في المغرب فور فوز حماس عندما أعلنت عن "مجموعة رؤى" تنتاب أعضاءها بأن انتصار الخلافة قريب جدا وأن خليفة رسول الله يقف على الأبواب.. وهل كل متحزب لهذه الحركات يمتلك قدرة "الرؤيا الصادقة" وراثة عن الأنبياء؟ وكيف ستتعامل هذه الحركات مع هموم الصناعة والزراعة والتجارة والبطالة وتوزيع الثروة، ومع مسائل الحريات وحقوق الإنسان والمرأة وحرية التعبير والتعددية السياسية والفكرية والأثنية والدينية والمواطنة وغيرها من المسائل الاجتماعية والسياسية الكبرى؟ وما هي رؤيتها للتنمية الاقتصادية والبشرية والاجتماعية في ضوء ايديولوجيتها الدينية؟ وهل ستعمل على تعبئة المجتمعات للمعركة الفاصلة (التي يروج لها اليمين الديني المسيحي واليهودي كذلك) التي لن تبقي ولن تذر وكل يدعي انتصاره النهائي بعد تلك المعركة؟ وهل سيبدأ عصر الجهاد وانتصار اللادنية والطالبانية التي بدأ تطبيقها في بعض المناطق التي يسيطر عليها أتباع هذه الحركات في أكثر من بلد عربي وغير عربي؟

ستقف "حماس" غدا أو بعد غد أمام اختبار التعامل مع قضية الحرب والسلام والأرض، والتنمية، وهموم الناس اليومية.. وللشعار والصراخ واللافتات فترة نفاذية لا بد وان تنتهي يوما إن لم يتحقق شيء على أرض الواقع، ولن يكفي إيمان البسطاء وحده للإبقاء على كراسي الحكم، فلا يمكن بعد اليوم عزل المجتمعات عن العالم، ولا يمكن التخلص من جميع أجهزة الراديو والتلفزيون والكومبيوتر، ولا يمكن إيقاف الكتاب عن التسرب إلى أيدي الشباب والنش، وإلا لكانت الأنظمة السابقة قد نجحت في ذلك. فالكلام سهل، والانتقاد والصراخ أسهل، ما دمت بعيدا عن المسؤولية، ولكن حماس اليوم على رأس شعب له من الهموم ما يكفيه، ومن التنوع والتلون ما يغنيه، ومن النخب والكفاءات ما يزيد على أي شعب آخر (نسبة إلى عدد السكان)، فهل ستقوم بمحاولة فرض اللون الواحد والرأي الواحد بالعصا على طريقة طالبان لتزيد الهموم هما جديدا، وهل ستفتح الأبواب للتغيير، أم ستكتب بيديها نهاية حقبة الإسلام السياسي في الانتخابات القادمة، أو التي تليها، أو التي ستأتي بعدها..

أما الليبرالية الوليدة فعليها الانتظار طويلا، فلا جدوى من حرق المراحل ومكافحة التطور الطبيعي وإن كان سلبيا، إذ لا تزال شعوبنا غير جاهزة، وغير معنية بالحقوق والحريات بعد، فما زالت أحلام الأغلبية تتمحور في سكن وعمل ولقمة خبز وهي حقوق أساسية. وعلى شعوبنا، بعمومها ونخبها، مثلها مثل تلك التي سبقتها، أن تجرب وان تعاني وأن تستفيد من التجارب. فبناء المستقبل لن يأتي بين ليلة وضحاها، وهي حقيقة يجب الاعتراف بها قبل الدخول في معارك خاسرة غير متكافئة. وبالتأكيد سيأتي ذلك اليوم الذي ستطالب فيه المجتمعات بحصتها الإنسانية الكاملة، فلم تبن الأوهام والشعارات والغيبيات يوما أوطانا أو مدنيات، ولكنها أهلكت الكثير منها بدون شك..

* كاتب عراقي مقيم في اليمن

لا فرحَ لـ«حماس» .. ولا شماتةَ بـ«فتح»

وداد البرغوثي *

تابعت من غربتي المؤقتة في روسيا سير و نتائج الانتخابات الثانية للمجلس التشريعي الفلسطيني، النتائج لم تكن مفاجأة إلى الدرجة التي صدم البعض لها ، وكان لصحيفة ١٤ اكتوبر عبر الإنترنت دور مميز في متابعة فوز حركة حماس ونشر الأخبار ووجهات النظر المختلفة حول ما جرى ويجري في الساحة الفلسطينية .

لآ أدعي أنني صعقت او صدمت، ولن أدعي أنني صفقت فرحا، ولم أكن لأصفق فرحا أيضا لو كانت النتائج عكس ذلك، يعني فوز فتح على حماس ولا حتى لو فاز اليسار الذي أنتمي إليه. ولا يعني الأمر بأي حال من الأحوال نوعا من اللامبالاة إزاء خيار الشعب الفلسطيني. كلا فكل الاحترام لهذا الخيار الذي تجمع عليه غالبية الشعب. وما يؤسف له ما كتبته الصحف عن تحويل اتجاه الحجارة من صدور جنود الاحتلال ودورياته لصدور بعضنا البعض في لحظة انفعال.

فا لنتائج كانت تحصيل حاصل لجملة من الظروف ، وحصيلة لمسيرة عشر سنوات عجاف مر بها شعبنا الفلسطيني الذي انتظرها لتريحه ولو قليلا من شبح عقود عجاف أيضا من الاحتلال البغيض. ولعل انتخابات المجالس المحلية شكلت التمهيد لمثل هذه النتيجة.

عشر سنوات تغنى فيها الكثيرون بالسلام فسقط السلام تحت أقدام الهجمة الشارونية التي لم تترك أخضر ولا يابس. إذن الناس الذين حسموا خيارهم لصالح عملية السلام أحسوا بالهزيمة حين هزم السلام وسقطت راياته، وسقطت كل الأقنعة التي لبستها إسرائيل وأمريكا ومن نصبوا أنفسهم رعاة لهذا السلام.

عشر سنوات تغنى فيها الكثيرون بالديمقراطية فسقطت الديمقراطية في معارك صغير وجه فيها سلاح الشرطة لصدور مواطنين وامتدت أيدي الأمن لاعتقال رجالات المعارضة .وسقطت الديمقراطية في معارك اجتماعية صغيرة أمام قضايا نسوية واجتماعية كثيرة أخرى .

عشر سنوات تغنينا فيها بالنزاهة وسقطت النزاهة لدى ظهور تقارير لجان الرقابة الفساد والفاسدين والتي ما لبثت أن أصبحت أثرا بعد عين، ليست التقارير فحسب بل وربما كفت أيدي عناصر الرقابة بشكل أو بآخر، سقطت النزاهة في المؤسسات الحكومية نفسها، حين كانت تقرب هذا وتبعد ذاك ، لا لاعتبارات وطنية ولا لكفاءة مهنية ولا لأي من الاعتبارات الأخرى سوى اعتبارات المحسوبية.

ذاك بعض مما جربه الشعب الفلسطيني فلم ينتخب من جربه. لذلك لم أشعر بالغضب لما آلت إليه النتائج لأنني لا أريد أن أمدد السنوات العجاف.

أما لماذا لم أفرح، فذلك أننا الآن أمام تجربة جديدة ، سنكون أيضا أمام حكومة جديدة وليس معروفا بعد ما إذا كنا سنواصل ذات السنين العجاف أو أن الحكومة الحمساوية الجديدة ، ستأخذ العبر والدروس من الحكومة السابقة ، وبالتالي تبدأ التصحيح من حيث أخطأ الآخرون أم ستضعنا أمام أخطاء وخطايا إضافية أو من من نوع آخر.

فلا يوجد شعب في العالم ينتخب سلطة رغبة منه في إيجاد متسلطين على رقابه ومقدراته. ينتخبها حتى تعبر عن طموحاته وآماله، فإما أن تنجح في هذا التعبير أو تسقط .

الشعب الذي ذرف الدموع بذات الحزن وذات الألم على الشهيد الدكتور ثابت ثابت والشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشهيد أبو علي مصطفى وغيرهم من الشهداء والجرحى والأسرى من مختلف الفصائل،لأن الشعب واحد والدماء واحدة . لم نميز نحن عامة الناس بين شهيد وشهيد، ولم يميز الصاروخ الاسرائيلي بين قائد وقائد، على قاعدة أنه الشعب واحد والدم واحد والرب واحد يريد للحق أن يكون واحدا أيضا للجميع.

ولذلك من المبكر جدا أن نفرح بانتصار حماس أو الشماتة بهزيمة فتح . فلا الفرح يغير من الواقع شيئا ولا الشماتة تغير منه. فالتحديات أكبر كثير من فرح وأكبر من شماتة.

فهل ستنجح حماس فيما لم تنجح فيه فتح؟ هذا هو السؤال وفي انتظار أن نرى الأمور كيف تجري على الأرض أجلت الفرح لهذه النتيجة. فما يجري على الأرض هو الفيصل. وبعد ذلك سنتعلم كيف نفرح ومتى نفرح.

* كاتبة فلسطينية مقيمة في روسيا

حماس .. من المقاومة إلى الدولة

د. إسماعيل نوري الربيعي*
imseer@yahoo.com

جاءت الانتخابات التشريعية الفلسطينية، لتشير إلى فوز حركة حماس، هذا الفوز الذي وصفه البعض من المراقبين بالمفاجئة، بحساب الاستناد إلى التوقعات التي قدمتها البعض من مراكز استطلاع الرأي، وطبيعة التنافس مع حركة فتح صاحبة التاريخ والعمق السياسي المؤثر في الحياة الفلسطينية.وإذا كانت السنوات الأربع باتت تشير إلى دخول هذه المنظمة في الزخم الذي تفرضه تفاصيل السياسة ومناوراتها ومداخلاتها المعقدة، فإن التحديات سرعان ما راحت تطل برأسها، ممثلة في التصريحات التي راحت تصدر عن العديد من الأطراف، ممثلة على الصعيد الداخلي في تأكيد الرئيس محمود عباس على أهمية المفاوضات واعتبارها الأساس الذي تحتكم إليه السياسة الفلسطينية، فيما سارع الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن للإشارة إلى أن الولايات المتحدة، مستعدة للتعامل مع الحركة، ولكن بشرط تخليها عن فكرة القضاء على إسرائيل.

حماس التي حققت نسبة ٥٤٪ من مقاعد المجلس التشريعي، وفي ظل الفرح الطاغي الذي ملأ قلوب أنصارها ومؤيديها، واجهت وبسرعة لافتة الموقف الصادر عن منظمة فتح، وذلك من خلال التصريح الذي أدلى به صائب عريقات، والذي أشار فيه إلى رفض منظمة فتح المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية التي دعت إليها حماس، معللا هذا الموقف بالتوجه نحو المعارضة الموالية .فيما اعتبر البعض هذا الموقف بمثابة الرد على الانتقادات التي كانت تنالها فتح على يد حماس، حول مواقفها من المفاوضات والإشارة الدائمة إلى التنازلات المقدمة،حول حق الشعب الفلسطيني بالحياة وتقرير المصير.حتى راح يوصف موقف فتح الحالي بمحاولة مراقبة ما يمكن لحماس أن تقدمه من فعل سياسي، في ظل المرارة القاسية والصدمة التي تعرضت لها في الانتخابات.بل أن التلويح الأهم بات يتم ربطه بمسألة البرنامج السياسي الذي وصف بالغموض وعدم الوضوح على حد تصريح البعض من قيادات فتح.حتى أن عضو المجلس الثوري لحركة فتح محمد دحلان لم يتردد من القول بأنه لن يشارك في حكومة تقودها حماس، مشددا على أهمية محاسبة اللجنة المركزية لقيادة فتح، معتبرا إياها المسؤول المباشر عن الوضع الذي باتت فيه الحركة اليوم.

حالة من الانفتاح السياسي داخليا على الأقل، باتت تتكسف لدى حماس، لا سيما فيما يتعلق بتشكيل الحكومة الوطنية، إذ تكشف التصريحات عن توجهها القوي والشديد نحو موضوعة المشاركة السياسية، بل أن الحركة باتت تكرر مسألة مشاركة الجميع، والمقصود بها مجمل الفصائل والحركات الفلسطينية وأهمية دورها في العملية السياسية المقبلة والسعي نحو بناء القرار الوطني المستقل، لكن حالة الإعراض من قبل الشركاء السياسيين، باتت بمثابة العقبة التي راح يرصدها المراقبون بوصفها ورطة سياسية راحت تعاني منها حماس، ومن هذا يكون السؤال حول الخبرات والامكانات التي تحوزها الحركة، حول مستقبلها السياسي، حتى باتت الملاحظات تترى حول توجه الحركة للتفاوض مع بعض الوجوه السياسية، لا سيما محاولة الاتصال بالدكتور سلام فياض وزير المالية السابق والعضو الفائز عن قائمة الطريق الثالث، والذي قيل أنه وضع إشتراطاته لقبول المشاركة استنادا إلى: التفاوض والعمل على دمج الكتائب المسلحة في أجهزة الأمن والإعتراف بإسرائيل من أجل الحصول على الدعم المادي الدولي. لكن هذا الأمر نفاه سامي أبو زهري الناطق الرسمي باسم الحركة، ومن واقع الرفض المباشر لهذه الشروط، فإن الواقع السياسي راح يبرز المزيد من مواقف الانفراج، لا سيما حول البعض من الإشارات التي راح يتم التلويح بها من بعض الأطراف السياسية، خصوصا ما يتعلق بامكانية تعاون اللواء يوسف نصر وزير الداخلية مع تشكيلة الحكومة المقبلة، استنادا إلى توجهات حماس الرافض لمبدأ التصفية والسعي للإبقاء على التشكيلات الأمنية المؤلفة من عناصر فتح. هذا بالإضافة إلى التطلع الواضح نحو تثبيت معالم التفاوض مع الجانب الإسرائيلي والمستند إلى محاولة قيام سلام حقيقي بين الطرفين قوامه التعامل المتساوي بين دولتين واشتراط الانسحاب من أراضي ٦٧ المحتلة، كهدف مرحلي من دون الاعتراف بشرعية الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية الفلسطينية. وإذا كان التركيز على الصورة العسكرية التي ارتبطت بها فعالية الحركة، فإن هذا لم يكن ليغيب بروز العديد من الأسماء السياسية التي من الممكن أن يتم تقديمها على سدة التفاوض مع أطراف الحوار، لا سيما وأن الحديث بات يتردد عن امكانية تولي الدكتور زياد أبو عمرو وزارة الخارجية في الحكومة المقبلة، من أجل فتح قنوات الحوار مع واشنطن، لما عرف عن أبو عمرو من حنكة سياسية وامكانات دبلوماسية.والواقع أن فكرة التفاوض والحوار والانفتاح على الآخر، باتت تشكل منطلقا للتوجه الراهن، وهذا ما يكشف عنه التصريح الذي أدلى به إسماعيل أبو هنية في خطبة الجمعة في غزة، والذي أشار فيه إلى أن توجهات حماس الحالية تقوم على أهمية التوجه نحو المشاركة لمجمل القوى السياسية الفلسطينية، مع التشديد إلى أن الأحداث الفرعية التي نشبت في خان يونس جنوب غزة، ووقوع بعض الصدامات بين أنصار فتح وحماس، لا بد أن تعالج بهدوء وحكمة، من دون التعاطي معها بتوتر وحساسية.

على صعيد رؤية حماس للمستقبل القريب الذي راح يراهن الجميع عليه، ووسمه بالوضع العسير، أو بالورطة على حد تعبير المزيد من الجهات، فإن تصريحات كبار المسؤولين في حماس باتت تتطلع نحو إبراز حالة التماسك، من خلال التشديد على أن المبادرة اليوم هي بيد حماس، حيث أشار رئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل في تصريح له للصحافة الإيطالية بأنه من السابق لأوانه التفكير بحكومة ائتلاف مع فتح، مع الرفض لخارطة الطريق ونزع سلاح المقاومة.ومع هذا فإن موجهات العمل السياسي تفرض التعامل مع الرئيس أبو مازن، وإمكانية ظهور حالة من التصادم بين الطرفين ا، وما يمثله ثقل الحركة الحالي من قوة على صعيد القرار في المجلس التشريعي، ما يفتح الاحتمالات أمام بروز حالة من التقاطع، لا بد أن يكون له تأثيره المباشر على أوضاع الدولة الفلسطينية.حتى أن البعض من المراقبين راح يرصد الأحداث بروح من التشاؤم، لا سيما على صعيد إمكانية اشتراط القوى الدولية الداعمة إلى إعتراف الحركة بإسرائيل، من أجل استمرار تدفق الأموال، أما في حالة التمسك بالثوابت القديمة، فإن الأمر سيقود حماس إلى نفق الحصار المادي، وما ينجم عنه من عواقب اقتصادية سينعكس أثرها على المواطن الفلسطيني والذي بات يعيش حالة من العوز والفقر والبطالة ونقص الخدمات العامة، بل أن أحد الأسباب الرئيسة في توجه الناس نحو انتخاب حماس، كان يقوم على الأمل في التغيير .

إسرائيل من جانبها أشارت ومن خلال رئيس الوزراء المؤقت إلى انعدام فرص التفاوض مع حماس باعتبار أنها من الحركات الإرهابية، مشيرا إلى أهمية التطلع نحو نزع سلاح المقاومة، أما رئيس حزب الليكود نتنياهو فقد عمد إلى وصف التفاوض مع حماس بالوهم، هذا بحساب المنطلقات العقائدية التي تؤمن بها الحركة والقائمة على فكرة القضاء على إسرائيل. ولم يتردد رئيس لجنة الخارجية والأمن في البرلمان الإسرائيلي من وصف فوز حماس بالزلزال السياسي، معتبرا سكوت إسرائيل عن مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية بمثابة الخطأ الجسيم.أما شاؤول موفاز وزير الدفاع فإنه أشار إلى أن حالة من الترقب والقلق تسود الجهات الأمنية في إسرائيل.

* كاتب عراقي

تسونامي حماس!

باسم النبريص *

فاجأت حماس نفسَها وفاجأت الجميع، بفوزها الساحق المدوي على حركة فتح. وآخر الأخبار التي وردت من لجنة الانتخابات المركزية، وهي الجهة الوحيدة المخولة بإعلان النتائج، تقول بحصول الحركة على أكثر من سبعين مقعداً، مرشحة للزيادة وربما تصل إلى ٧٥ مقعداً من مجموع مقاعد المجلس التشريعي المئة واثنين وثلاثين. أي فوز ساحق لحماس بنسبة ٧٠ في المئة من أصوات المقترعين. وعليه، فحماس هي من ستشكل الوزارة القادمة، ضامنة بذلك أغلبية مريحة في البرلمان، تؤمّن لها كل خطواتها السياسية في المستقبل. ما يعني أنها ليست بحاجة للتحالف مع أي تنظيم صغير أو كبير، ومع ذلك، فلعلها ستلجأ إلى هذا الحل، كنوع من توسيع قاعدتها الوطنية بالأساس، وكنوع من الشراكة السياسية.

مفاجأة زلزلت فتح، تنظيم منظمة التحرير والسلطة الأكبر، بعد أربعة عقود ونيف من وجوده في الحكم. وأربكت القوى الأخرى. حتى بدا الجميع، غير قادرين على تحليل هذه الظاهرة، مكتفين فقط بالغمغمة والذهول! فما هو السر وراء هذا الانتصار الساحق الماحق؟

وهل كان لحماس أن تنتصر على هذا النحو، لولا ترهل فتح وفساد رموزها؟ ولولا مسيرة من الأخطاء والخطايا؟ مسيرة راقبها ودفعَ ثمنها المواطنُ الغلبان؟.. الحق أن فتح حصدت ما زرعته، طوال أحد عشر عاماً، هي عمر السلطة. فقد تصرفت، منذ اليوم الأول، بمنطق الحزب العربي الحاكم. أي بروحية وعقلية، أن فلسطين مزرعة لها، وأن الفلسطينيين، يعملون فيها لصالحها. ولعلي أخالف في هذا الشأن، كل من يقول، بأن غياب أبو عمار، وبقاء الحركة بلا رأس، هو واحد من الأسباب الجوهرية، لأفول فتح. لأن جزءاً كبيراً من فشل فتح، يعود إلى نهج أبو عمار وطريقته في تصريف الأمور. فأبو عمار، كما يعرف الجميع، كان يراكم الصديد على الجرح، ولم يسع مرة لعلاجه العلاج الصحيح. والأمثلة أكثر من أن تُحصى، ولنأخذ مثالاً واحداً فقط، هو الفساد المالي والإداري المستشري في جسم السلطة منذ تأسيسها. فبدلاً من أن يحاسب أبو عمار المفسدين من حوله، كان يرقيهم ويرفعهم، مستهيناً بعقول ومشاعر الغالبية من شعبه الفقير المُحبط. ومراهناً على هؤلاء الفاسدين، وهم قلة، بدلاً من المراهنة على مجموع الشرفاء والمناضلين، وهم بالطبع الأكثرية. كل ذلك صدمَ الناس وأفقدهم ثقتهم في نهجه هذا، وجعلهم يتذمرون منه، ويتأففون. ولقد لعبت حماس، تحديداً، على هذا الوتر الحساس، وتر الفساد الداخلي، الذي يمس شؤون الناس اليومية والحياتية. وكان ذلك سهلاً عليها، كتنظيم معارض خارج السلطة. تنظيم يمتلك من الإمكانات المادية، ما يسمح له بالتغلغل بين الجماهير، كبديل لحزب السلطة. والقاضي والداني، يعرف أن حماس، ذكية ومتمرسة في العمل الاجتماعي، وذكية في تركيزها عليه. فمن بابه الواسع، تستطيع كسب ودّ الناس، وخاصة الفقراء والمستورين منهم، وهم الطبقة الكبرى في النسيج المجتمعي الفلسطيني. اشتغلت حماس، إذاً، على هذا الجانب الحيوي، الذي يمسّ مصالح الناس اليومية، وسجلت نجاحات كبرى فيه. بينما ظلّت فتح مشغولة، كحزب للسلطة، بتقاسم الكعكة، والتكالب على الامتيازات والوظائف، إضافة إلى تشرذمها الداخلي، وصراع الأجيال فيها. فإذا أضفنا إلى كل هذه الجوانب الجوهرية، جانباً آخر، هو إبداع حماس العسكري في عملياتها داخل إسرائيل وفي الضفة والقطاع [من وجهة نظر الناس بالطبع]، عرفنا لمَ فازت كل هذا الفوز.

إن فساد فتح تحديداً، هو صانع انتصار حماس. يقول ذلك حتى أبناء فتح أنفسهم. ويقوله معظم المراقبين المحايدين. فقد وصلت غالبية الفلسطينيين، إلى قناعة مؤداها، أن لا فائدة، من انتظار أن تُصلح فتح نفسها بنفسها، فقد اتسع الخرق على الراتق كما يقال. ولا بد من التغيير : تغيير الوجوه بالأساس، بل لا بد من قلب الطاولة على أصحابها، لعل وعسى.. وهذا ما حصل. بل هذا ما كنا حذرنا منه منذ بدايات تشكيل جسم السلطة : تكرار النموذج الجزائري. إنه إذاً نوع من انتقام الناس، لكل من يستهين بمشاعرهم وعقولهم. والآن تدفع فتح نتيجة ما صنعت. لقد جربها الناس، أحد عشر عاماً ونيف، ففشلت في التجربة، وكان ذلك سبباً أكثر من كاف، لكي لا يعطيها شعبها فرصةً أخرى. ربما تكون فتح ظلمتْ كتنظيم، حين تماهت مع السلطة، وربما ثمة أسباب أخرى، دولية وإسرائيلية وداخلية، وراء سقوطها المدوي. لكن، في كل الأحوال، على فتح أن تأخذ العبرة، وأن تتعلم من هذه التجربة القاسية. أما حماس، فمنذ هذه اللحظة، أصبحت حزب السلطة الحاكم، ورغم تشاؤمنا الشديد من فوزها الكاسح، وما يترتب عليه من تجليات اجتماعية وسياسية، إلا أننا نقبل به، ما دمنا قبلنا بمبدأ الاحتكام إلى صندوق الاقتراع. فهذه هي الديموقراطية الحقيقية، ولا من سبيل آخر. الديموقراطية التي ترفضها حماس في ثقافتها العقيدية، وتستفيد منها رغم ذلك! لكن، فالمهم الآن : ماذا ستفعل حماس في قادم الأيام ؟ وهل ستغيّر من شعاراتها البراقة، كحزب معارضة سابق، بعد أن تسلّمت السلطة ؟ ثمة إشارات كثيرة وذات دلالات، على أنها ستفعل. فمنذ شهر وحماس ترسل إشارات سياسية، وترد عليها قوى إسرائيلية برسائل واضحة. ما يعني أن ثمة شيئاً ما وراء الأكمة. ونحن نتمنى ذلك : نتمنى حلاً سياسياً معقولاً ومقبولاً، بعد كل هذا العذاب. ونتمنى أن يُحاسب المفسدون، وأن تُفتح ملفاتهم، ليكونوا عبرة لغيرهم. كما نتمنى أن تعالج حكومتها القادمة، مشكلة البطالة المتفاقمة، سواء عن طريق عربي أو أجنبي، إذ وصل الحال إلى درجة الغليان، وبلغت نسبة من يعيشون تحت خط الفقر أكثر من ٦٠ ٪ من سكان الضفة والقطاع. هذه أمور تعرفها حماس جيداً،